
سياسة الحكم التركي - المصري التعليمية في السودان

(1821 - 1885م)

إعداد : د. أسامة عبدالله محمد الأمين

استاذ مساعد - جامعة بخت الرضا

كلية التربية

مستخلص الدراسة :

تناولت الدراسة سياسة الحكم التركي-المصري التعليمية في السودان (1882/1885م)هدفت الدراسة لتوضيح السياسة التعليمية التي اختطها الحكام الأتراك في السودان ، انتهجت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي،وخلصت إلى عدة نتائج أهمها ميول الحكام الأتراك إلى مساعدة المؤسسات الإسلامية مادياً، وإعفاء رجال التعليم الديني من الضرائب،ارتبط توسع التعليم الحديث في السودان بتوفير عناصر سودانية يمكنها أن تشغل بعض الوظائف الحكومية.

Abstract

The study dealt with the policy Turkish–Egyptian Educational rule in Sudan (1821/1885). The aim of the study was to clarify the Educational policy which planned by Turkish rulers in Sudan. The study adopted the historical descriptive analytical method. It concluded with several results, the most important of which were the tendency of the Turkish rulers to help Islamic institutions financially Religious Education from Taxation, the expansion of modern Education in Sudan has been linked to provide of Sudanese elements that can occupy some government jobs.

المقدمة : -

كان العلم والتعليم في السودان قبل فترة الحكم التركي - المصري (أي فترة دولة الفونج) إسلامياً غايته تعليم القرآن الكريم وعلوم الدين المرتبطة به ووسيلته في ذلك كانت الخلوة وهي مدرسة تحفيظ القرآن الكريم وتدرّس العلوم المرتبطة به . وقد أهتم سلاطين دولة الفونج بالتعليم الديني في المساجد والخلوي وحرصوا على بنائها وتعميرها فأصبحت بفضلهم أماكن لتدريس القرآن الكريم والعلوم المرتبطة به . ومنحوها الربيع والهبات واقتطعوا الأراضى للعلماء وأصحاب المساجد فانتشرت مدارس المساجد في قرى ومدن الدولة المختلفة .

وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي اتاحت الفرصة للسلطان العثماني محمود الثاني ويفضل طموح واليه على مصر محمد علي باشا ونزعتة التوسعية من ضم السودان إلى الإمبراطورية العثمانية . ووافق السلطان العثماني محمود الثاني على طلب محمد علي باشا لضم السودان شريطة أن يتم ذلك باسم السلطان العثماني , وبالفعل تم غزو السودان على يد اسماعيل بن محمد علي باشا في عام 1820م. رغم أن السودان لم يكن يخضع مباشرة للسلطان العثماني وأن تركيا لم تكن صاحبة السيادة الفعلية عليه , إلا أن مصر نفسها والتي انفردت بحكم السودان , كانت تدين بالتبعية لتركيا التي هي صاحبة السيادة الشرعية عليها وعلى السودان . وعليه فقد صار السودان تابعاً إلى الامبراطورية العثمانية . وقد أطلق المؤرخون على الفترة ما بين (1820- 1885م) في السودان باسم فترة الحكم التركي - المصري .

أهمية الدراسة : -

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي :

- 1/ قلة البحوث التي تناولت موضوع سياسة الحكم التركي - المصري التعليمية في السودان .
- 2/ إلقاء الضوء على مسيرة التعليم خلال فترة الحكم التركي - المصري بالسودان.

أهداف الدراسة : -

- 1/ تتبع انتشار التعليم بأنواعه المختلفة في السودان إبان فترة الحكم التركي - المصري.
- 2/ إبراز الدور الذي قام به الحكام الأتراك في نشر التعليم بالسودان .

منهج الدراسة : -

اتبعت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التاريخي . ولقد اعتمدت الدراسة على المراجع التي تناولت موضوع سياسة الحكم التركي - المصري التعليمية في السودان .

حدود الدراسة :

تغطي هذه الدراسة الفترة التاريخية من (1820 حتى 1885م) للتعرف على جهود الحكام الأتراك في نشر التعليم وتطوره بالسودان .

سياسة الحكم التركي - المصري التعليمية في السودان : -

فشل الحكم التركي - المصري في الحصول على ما كان يصبو إليه إلا أنه رغم ذلك لم يفكر ولاية الأتراك في ترك السودان وشأنه بل عملوا على استغلال موارده المختلفة ولذلك شرع الحكم التركي -

المصري في الاهتمام بتطوير أساليب الزراعة والمواصلات وترقية نظام الإدارة . أما في مجال التعليم فقد تأثرت السياسة التعليمية باتجاهات الحاكمين في مصر وممثلهم في السودان وأصبح تركيب الدولة الاقتصادي ونظام الإدارة في حاجة ملحة إلى نوع من التعليم أرقى من تعليم الخلاوي .⁽¹⁾

ومن خلال دراستنا للتطور التعليمي في السودان خلال فترة الحكم التركي - المصري سوف نتبع سياسته نحو كل أنواع التعليم التي أوجدها وفق الهيكلية الآتية :-

أولاً : التعليم الديني :-

أهتم الحكم التركي - المصري في السودان بالتعليم الديني اهتماماً واضحاً فالأتراك رغم كل شيء مسلمون سنيون ومحمد علي وأبناؤه من بعده كانوا يحترمون علماء الدين وقد برر محمد علي غزوه للسودان بأنه جاء باسم السلطان العثماني محمود الثاني (خليفة المسلمين) في تركيا وقد صحب الجيش التركي - المصري الغازي عام 1820م ثلاثة من علماء المذاهب هم القاضي محمد الأسيوطي الحنفي , والسيد أحمد البقلي الشافعي , والشيخ السلاوي المغربي المالكي لحث السودانين على التسليم بلا حرب بحجة أنهم مسلمون , وأن الخضوع لجلالة السلطان خليفة المسلمين واجب ديني⁽²⁾. بل إن محمد علي عمل على نشر الطرق الصوفية التي استقدمها من مصر كالسعيدية والرحمانية والبرهانية والبدوية , كما أنه إمعاناً في اظهار حسن النوايا استجاب لكل ما وصله من عرائض لإنشاء مساجد العلم والعبادة أو ترميم واصلاح القديم منها⁽²⁾. بل قام بدفع المرتبات للفقهاء حتى يتمكنوا من الإشراف على الخلاوي والمساجد حتى تقوم بدورها في نشر التعليم الديني في السودان⁽³⁾.

وقام محمد علي بتشجيع بعثات السودانين إلى الأزهر الشريف وذلك بعد فتح الطريق الواصل بين السودان ومصر واستباب الأمن فيه كما تم تأسيس رواق السنارية في الأزهر الشريف في عام 1846م , وبتأسيس رواق السنارية ارتفعت بيوت الطلبة السودانين بمصر إلى ثلاثة بيوت هي بيوت طلاب دارفور وبيت يضم النوبيين الذين وفدوا للأزهر الشريف من .يدعى محمد علي وداعة ذهب إلى القاهرة في عام 1846م ووجد ستة من الطلبة السودانين سبقوه إلى هناك فتقدم الستة بطلب لمحمد علي يطلبون منه إنشاء رواق خاص بهم في الأزهر الشريف فما كان من محمد علي إلا وأن كتب إلى وكيل ديوان المالية بهذا الخصوص قائلاً: (... قد اقتضت إرادتي اشتراء محل جديد وتخصيصه رواقاً للمجاورين السناريين (...)⁽⁴⁾. وقد أنشأ أولئك العلماء الذين تخرجوا في الأزهر الشريف مدارس في المدن الكبرى

درست فيها مبادئ النحو والصرف وعلم الفقه على مذهب الإمام مالك وبعض علوم التصوف⁽⁵⁾. ولعل محمد علي أراد بتشجيعه للتعليم الديني كسب ولاء السودانين عن طريق رجال الدين .

وتتبع عباس بن طوسون (1848-1854م) خطوات جده محمد علي فأقبل على تشجيع معاهد التعليم الديني بالسودان فتعهد المساجد بالإصلاح والتعمير وأجرى على القائمين بشؤونها المرتبات وأكرم فقهاء وعلماء السودان كما شجع منهم من أراد منهم الدراسة بالأزهر الشريف ثم أوصى بهم الحكمداريين عند عودتهم إلى بلادهم ومن هؤلاء نذكر الشيخ محمد السنوسي وهو من أهالي كردفان وأحد أتباع الطريقة النقشبندية⁽⁶⁾.

ومن مظاهر النشاط الديني في عهد عباس بن طوسون الاهتمام بشراء المراجع في علوم الفقه واللغة لتزويد مساجد العلم بها ونجد الحكام يعقدون اتفاقا مع المطبعة في مصر لطبع الكتب الدينية تباعا وارسالها إلى الحكمدارية لأجل توزيعها على علماء السودان ومن هذه الكتب نذكر منها (حاشية الطهطاوي على الدر المختار ، وحاشية الصاوي على الجلالين ، وشرح الخطيب الشربيني ، وكتاب شرح الدردير على أقرب المسالك) . وهكذا جلب عباس بن طوسون الكتب و المساجد بالسودان مما شجع آخرين للاهتمام بتدريس العلم كما شهد عهده قدوم بعض أبناء السودان من الأزهر الشريف⁽⁷⁾.

أما عن سياسة محمد سعيد بن محمد علي (1854-1863م) فقد قامت على الإنفاق على المساجد وتقرير المرتبات الشهرية وإصلاح وترميم بعض هذه المساجد وزيادة مرتبات المدرسين وإعنائهم من الضرائب وإقرار ما بأيديهم من سندات تثبت ذلك . وعمل على تنظيم الصرف على أرباب المساجد آنذاك فبعد أن كان المرتب المقرر لمن يقوم بالتدريس ينتقل إلى ورثته اشترط لاستمرار ذلك قيامهم بالتدريس بالفعل كما جعل مرتبات خدم المساجد من إيرادات الوقف عليها .وقد وجه بمساعدة فقيها من أهالي دنقلا وإعانتة من مصاريف مسجده الذي يقوم فيه بقراءة القرآن الكريم وتدريس العلوم ، كما أمر محمد سعيد بن محمد علي بالصرف على مسجد سنار الذي أنشأه والده بترميمه وتعميره بالإضافة إلى ترتيب مبلغ سنوي للمسجد . ومن أمثلة تشجيعه أنه لما وضح له أن أولاد الشيخ اسماعيل الولي لم يكن لهم إيراد للتعيش والإنفاق على التعليم سوى أطيانهم وسواقيمهم وتأكد له قيامهم بواجبهم الديني والتعليمي عدل عن فرض الضرائب على أطيانهم وقرر إعفاء أولاد الشيخ اسماعيل الولي من ضرائب الأطيان⁽⁸⁾.

وفي عهد الخديوي اسماعيل بن ابراهيم (1863-1879م) كثر تعمير المساجد وصرف المرتبات لأئمة هذه المساجد وتوزيع الأرزاق عليهم وتشجيع الفقهاء بكل الوسائل على المضي في نشر الثقافة الإسلامية في أرجاء السودان فكان من بين المساجد التي أمر الخديوي اسماعيل بن ابراهيم بتعميرها وترتيب المرتبات لأئمتها ومؤذنيها وخدمتها وربط ما يوافق ربطه من الأشياء أكان أطيان أو عقارات مما يقتضي ترتيب إيقافه عليها الجامع العتيق بالأبيض والجامع الكائن بحلة أبوصفية ومسجد الأرياب بندر الخرطوم والمسجد الكائن بحلة الهلالية بمديرية جزيرة سنار والخرطوم . ومسجد قرية عبود ومسجد مدينة سنار ومسجد المسلمية ومسجد مروى ومسجد طوكر وغيرها من المساجد الكثيرة⁽⁹⁾. ويبدو أن هذه الإجراءات التي اتخذها الخديوي اسماعيل بن ابراهيم قد لعبت دورا كبيرا في ازدهارها كمراكز اشعاع ديني.

وفي عهد الحكمдар جعفر مظهر (1866-1871م) بدأت فكرة الإشراف الحكومي على التعليم الديني وتوظيفه بعد أن تبين أن العلماء الذين يتقاضون راتبا من الحكومة لا يقومون بواجبهم الديني ولم تعد المراكز العلمية تسد حاجة الحكومة من الفقهاء فكتب الحكمدار جعفر مظهر إلى حكومة القاهرة يطلب الموافقة على ارسال بعثات من الطلاب السودانيين حفظة القرآن الكريم وممن درسوا بعض مبادئ الفقه والنحو للأزهر الشريف ثلاث سنوات لإكمال علومهم وثقافتهم وبدأ هذا بأن أرسل ولدي المرحوم الشيخ عمر الذي كان قاضيا لمديرية التاكا ومؤيدا للحكم التركي - المصري . وفي الأزهر الشريف سلمهما للشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر الشريف آنذاك وخصص لهما مرتبا يوميا قدره قرشان خصما على إيرادات الأقاليم السودانية . ولذا استطاع الحكمدار جعفر مظهر أن يحل أزمة الوجود الفقهي بإرسال هذين الطالبين للأزهر الشريف كنواة لقضاء وفقهاء المستقبل⁽¹⁰⁾.

وضع الحكمدار جعفر مظهر برنامج إصلاح للتعليم الديني في السودان ليتمشى مع متطلبات الحكم لذلك اقترح على الخديوي اسماعيل بن ابراهيم أن يفوضه حق التفتيش على الفقهاء والبحث عن مؤهلاتهم العلمية وقطع مرتبات من لا علم لهم ونقلها إلى من يفوقهم علما كما أشار إلى اختيار مدرس بعد الامتحان لكل من بربر، ودنقلا، والخرطوم، وسنار، والتاكا، و كردفان، وفاشودة، وزيادة مرتباتهم وتحديد عدد الطلبة لكل معلم، واعفائهم من دفع الضرائب وغيرها إذا ما تركوا الاشتغال بالتجارة والزراعة، وكان من مطالبه تعيين أحد العلماء المبرزين في الخرطوم بعد الامتحان ليكون ناظرا

وملاحظا على الجميع بلقب (شيخ العلماء) ، أو (رئيس الأساتذة) وتعيين أحد الفقهاء المتقدمين ليكون قارئاً وحافظاً يلقب (شيخ الفقهاء) ووافق الخديوي اسماعيل بن ابراهيم على هذا المقترح (11).

وقد شرع الحكمدار جعفر مظهر في تنفيذ مشروعه التعليمي إلا أن ثمة عقبات مادية قد صادفته من بنائين ومهندسين معمارين لبناء المساجد والمكاتب بل لم نجد ذكرا لهذا المشروع وإن كان البعض يؤكد أن هذا المشروع قد نفذ بدليل أن الحكمدار جعفر مظهر قد قام بالتفتيش على المساجد والخلوي وقرر قطع الإعانات عن أولئك الذين لا يستحقونها (12)

وفي عهد ممتاز باشا (1871 - 1873م) الذي خلف جعفر مظهر سارت سياسته التعليمية على نهج سلفه في حرمان من لم يثبت أهليته من الفقهاء في الحصول على المرتبات والمربوطات وعاملهم بشدة . وأما بصماته التعليمية فقد تمثلت في قراره الذي نص على أن يمنح كل شيخ أو فقيه مقدارا من الأرض تقدر بنحو ساقية أو أكثر على أن يقوم بتعميرها بدلا من تركها بورا وتعفى من الضرائب ومن ثم يمكن أن تكون الفائدة مزدوجة حيث يمكنهم العيش منها من ناحية ومن ناحية أخرى تزداد مساحة الأراضي الزراعية ويكثر انتاجها لأن منحهم النقود قد صرفهم عن العمل في الأرض كما كان الحال من قبل . (13)

ولما خلفه اسماعيل أيوب (1873 - 1877 م) سار أيضا على طريق سلفه لكنه نظر إلى بعض الحالات الخاصة التي لا تستطيع العمل في الأرض كرئيس العلماء ومميز الطائفة العلمية والفقهاء ومميز الوظائف القرآنية والحفاظ وغيرها فقرر استمرار مرتباتهم وأما بقية الفقهاء من أرباب المرتبات فلكونهم مزارعين فيمكنهم كسب معيشتهم ولذلك حذف مرتباتهم (14).

وفي عهد الخديوي محمد توفيق بن اسماعيل (1879-1885م) لم يشهد التعليم الديني تطورا بل استمر كما كان . وهناك كثير من الخلوي كانت تزاوّل نشاطها التعليمي والديني عند اندلاع الثورة المهدية (15).

ومن أهم مساجد العلم والقرآن الكريم في فترة الحكم التركي - المصري بالسودان ,مسجد الخرطوم الكبير , مسجد دنقلا ,مسجد العمراب بالمحمية , مسجد الفقيه أحمد يوسف البرعي قرب بارا بكردفان , مسجد عمر ولد دوليب بخرسي , مسجد محمد عثمان الميرغني بسواكن , مسجد الشيخ محمد الأمين

الأغيش غرب بربر ، مسجد الفادنية بقوز نعيم ، مسجد الشيخ ود حاج بدارالشايقية ، مسجد الشيخ الجعلي كد باس غرب بربر، مساجد الطيبية بالجزيرة ، مسجد اسماعيل الولي في الأبيض ، مسجد ود بدر في أم ضوابان ،مسجد الشيخ محمد الأزرق بشرق السودان ومسجد المجاذيب بالدامر وغيرها .(16)

أما من أشهر الخلاوي في العهد التركي - المصري بالسودان خلوة العبيد ود بدر في أم ضوابان ،خلاوي المجاذيب في الدامر ، خلوة المضوي عبد الرحمن في كركوج ، خلوة الشيخ محمد الخير في الغيش ، خلوة الشيخ محمد شريف نور الدائم بأم مرحي ، خلاوي الكتياب والجوير وقوز العلم بنواحي شندي ، خلاوي الدواليب في خرسی قرب بارا ، خلاوي اسماعيل الولي بالأبيض ، خلاوي الختمية في شرق السودان ، وفي دارفور اشتهرت بلدة كرىو وما حولها جنوب الفاشر بخلاوي تدريس القرآن الكريم والتفسير والفقہ والنحو . وتمثل بلدة كرىو المركز الروحي والإداري للفلاتة الذين قدموا من غرب افريقيا واستقروا في هذه البلدة وأنحاء أخرى وينتشر تعليم البنات في الخلاوي و بها الكثير من النساء ممن يحفظن القرآن الكريم ويعرفن بعض المسائل الفقهية .(17)

وفي هذا العهد اشتهرت بعض النساء الخيرات مثل الفقيه (أمونة) حرم السنجق الذي يدعى الملك الإزيرق في بلاد الشايقية بمديرية د نقلا وكانت تدير خلوتين أحدهما للأولاد والثانية للبنات وكل منها لقراءة القرآن الكريم وحفظ المتن وتنفق عليهما من كسبها بزراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله وبجانب الخلوتين ، خلوات لمن يختلي من العباد والزهاد الحاضرين من أقصى البلاد لأداء فريضة الحج ومنزلها تكية للفقراء وأبناء السبيل .(18) كما كانت للسيدتين عائشة وآمنة في شركيلة بكردفان خلوة لتعليم الصبيان وقد فرغتا نفسيهما لهذا العمل .(19)

وصفوة القول أن التعليم الديني ظل يؤدي دوره في فترة الحكم التركي - المصري بالسودان عبر اهتمام ولاية مصر بترميم بعض المساجد وإحضار الكتب لفقائها ، كما تم أيضا الاهتمام بالخلاوي باعتبارها مكانا لحفظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وتدريس علوم الدين . وقد شهدت هذه الفترة اقبال أبناء السودان على التعليم بالأزهر الشريف مما أدى إلى إنشاء الرواق السناري بالأزهر الشريف في عام 1846م.

ثانيا : التعليم الحديث : -

توقف النشاط التعليمي عقب دخول جيوش محمد علي إلى بلاد السودان وذلك بسبب انشغال محمد علي باستغلال موارد البلاد البشرية والمادية , وأيضا لانعدام الاستقرار في تلك المناطق التي خضعت للسيطرة التركية - المصرية ولكن ازداد الحال سوءا بمقتل اسماعيل بن محمد علي في شندي وماترتب على ذلك من حملات انتقامية قادها محمد الدفتردار وكان من ضمن الذين امتد إليهم القتل في تلك المجازر الدموية علماء وفقهاء كانوا من عماد الحياة التعليمية في البلاد (20) .

ويرى الدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد في كتابه (التربية في السودان في القرن التاسع عشر) أن محمد علي لم يؤسس أية مدارس حكومية ولكن الفضل كان له في توجيه دفعة التعليم وجهه عملية وقد بدأ ذلك من تشجيعه الزراعة والأعمال اليدوية . ومن إرسال بعض المزارعين المصريين إلى السودان ليعلموا الناس كيفية فلاحه الأرض و استقدامه إلى مصر بعثة سودانية من ستة أشخاص ليتعلموا الزراعة لأنه كان يفضل أن يتعلم هؤلاء الطلاب فنون الزراعة والصناعة وما من شأنه تعمار البلاد بدلا من العلوم الثقافية .(21)

فهذا القول مردود؛ لأن محمد علي كان يرى أن تحقيق أهداف غزوه للسودان لا تتم إلا عن طريق استثمار الجهل ولهذا لم يتهم بالتعليم المدني (الحديث) ولم يتم بفتح أية مدراس من هذا النوع التعليمي في السودان والدليل على ذلك أن أول مدرسة نظامية انشئت في السودان كانت بعد نهاية عهده .وهذا يؤكد لنا أن محمد علي كان يرى أن الشعب الجاهل أسهل قيادة لتحقيق أهدافه لغزو السودان .

أما افتتاح أول مدرسة حكومية فقد اقترنت باسم حفيده عباس بن طوسون الذي اوفد رفاعة رافع الطهطاوي للسودان بغرض منح مدرسة ابتدائية في الخرطوم وقد حمل رفاعة معه للخرطوم المهمات اللازمة للمدرسة من احزمة و سجاجيد وأخذية وألواح صفيح وغيرها من المهمات . كان قرار عباس بن

طوسون أن يكون نظام مدرسة الخرطوم موقفا لنظام المدارس المصرية . و أن تتسع هذه المدرسة لنحو 250 تلميذا من أبناء السودان

وفي عهد ممتاز باشا اقترح على الخديوي إسماعيل إرسال مائه شاب سوداني من تلاميذ مدرسة الخرطوم وغيرها وإرسالهم الى القاهرة لتدريبهم في مدارس الهندسة الميكانيكية وبعد إتمام فتره تدريبهم يتم توزيعهم على ماكينات حلج القطن وكبسه في مختلف جهات السودان ولقد أعجب الخديوي إسماعيل بهذه الفكرة وأصدر أوامر إلى ديوان الداخلية بمصر لإعداد الترتيبات اللازمة لإستقبال الطلبة السودانيين حين وصولهم الي مصر . (34)

وكان لإتساع الإدارة المصرية نحو دارفور وأعالي النيل و الإستوائية وحاجة الإدارة في تلك المناطق للموظفين و الكتبة و العمال الفنيين أن أضحي من الضروري مضاعفة عدد التلاميذ المقبولين بالمدارس الإبتدائية ووضع مشروع لفتح مدرسة صناعية في جنوب السودان يستفيد منها الأهالي في تعليم أبنائهم تعليما مهنيا فضلا عن تعليمهم اللغة العربية و الدين الإسلامي. (35)

وكان التفكير قائما في إدخال التعليم الزراعي في السودان حيث تم وضع مشروع كامل لفتح مركز لتطوير المجتمع في أدفو بالقرب من القاهرة ليلتحق به حوالي 1200 طالبا سودانيا على أن تتراوح أعمارهم من 12 - 15 سنة على أن يقبل 200 طالبا كل عام. وأن يسكن الطلاب في مشروع زراعي وأن يتلقوا تعليما أوليا وتدريباً عمليا في الزراعة وكان المشروع يتضمن دراسة مبسطة للاقتصاد والتدبير المنزلي وتربية الأطفال. وكان يهدف المشروع أساسا إلى أن يمد السودان بمزارعين متعلمين وذوي خبرة بيد أن المشروع لم ير النور إذ لم يوضع موضع التنفيذ. (36)

وسار الخديوي توفيق (1879 - 1882م) على نفس السياسة التعليمية التي اختطها الخديوي إسماعيل ولعل أهم ما قام به الخديوي توفيق في ميدان التعليم أن أسس مدرسة للطب و الصيدلة. (37) أما في جنوب السودان فقد أسس مدرسة أولية في الإستوائية ليلتحق بها أبناء ضباط وجنود أرتط الجيش وكان من المفترض أن يلتحق بها أبناء الأهالي ولكنهم أعرضوا عنها ولم يستفيد إلا عدد قليل من أبناء جنوب السودان بتلك المدرسة (38).

ثالثا : نشاط الإرساليات المسيحية في إنشاء المدارس :

ما أن ضم محمد علي باشا السودان حتي انفتح الطريق إلى قلب القارة الأفريقية واقترن ذلك باستتباب الأمن الأمر الذي شجع الأفراد و الجماعات ذات الأهداف المتنوعة إلى التوجه نحو هذه البلاد كل يحاول تحقيق أهدافه ومن بين هؤلاء كان المبشرون الذين نزلوا في ضيافة حكومة السودان حين جاءوا في ثياب مكتشفين و فنيين عسكريين ليتعرفوا على شعب السودان ويسلكوه في درب المسيحية. كذلك جاء البعض ماذونا له من الإدارة الخديوية لياشر التنصير ويفتح المدارس.

وفي عام 1843م وصل الأب الإيطالي مانسوري إلى الخرطوم هاربا من الحبشة. إبتنى مانسوري كنيسة كاثوليكية صغيرة في الخرطوم وألحق بها مدرسة انتظم في صفوفها أطفال زواج من المقيمين حول النيل الأبيض و المشترين من سوق الرقيق بالإضافة إلى عدد قليل من البيض . ولكن هذه المدرسة انتهت أمرها بمجرد عوده الأب مانسوري إلى الحبشة عام 1845م ومهما يكن فإن مانسوري قد وضع أول لبنة في بناء حركة التنصير الكاثوليكية. (39)

وبعودة الإرسالية الكاثوليكية إلى الخرطوم عام 1848م كان من بين برامجها افتتاح مدرسة داخلية توازرهم في نشر المسيحية، وفي عام 1859م حوت المدرسة عشرين تلميذا بينهم أربعة عشر طفلا من أبناء الزوج ثم إزداد عددهم إلى أربعين طفلا. وكانت تقوم بتعليمهم القراءة والكتابة والحساب واللغات العربية و الفرنسية والإيطالية والموسيقى والأشغال اليدوية. وفي عام 1859م أضيف إليها فروع لتدريس المواد التجارية لإمداد حكومة الخرطوم بالموظفين ثم اهتمت المدرسة بعد ذلك بالتعليم المهني حيث أفتتحت أقساما للنجارة و الحدادة والحياكة وصناعة الأحذية تحت إشراف خبراء ايطاليين. (40)

ومنذ عام 1859م بدأت هذه المدرسة الإرسالية الكاثوليكية في التوسع في قبول التلاميذ (بنين - بنات) ولا سيما في القسم الخارجي حتى وصلت أعداد البنين في عام 1878م إلى ثلاثمائة تلميذ والبنات إلى مائتين . وقد ظلت مدرسة الإرسالية بالخرطوم تقوم بمهمتها التعليمية حتى قيام الثورة المهديّة (41).

كان للنجاح الذي حققته المدرسة الكاثوليكية في الخرطوم حافزا للإرساليات البروتستانت للقيام بنشاط تبشيري في شمال السودان فقد أسس أثنان من القسس البروتستانت الألمان أير وهوسمان مركزا تبشيريا في أبي حراز جنوب الخرطوم في عام 1862 م وأغلق المركز التبشيري بسبب تدمير الأهالي ومعارضة الإدارة المحلية وأسس مركز آخر في القلابات بالقرب من الحدود الأثيوبية. (42)

وهكذا لم يكتب للتعليم التبشيري أن يستعيد نشاطه حتى قام الأب دانيال كمبوني بمجهودات كبرى ودفع بالتبشير المسيحي دفعا قويا . كان من رأي الأب دانيال كمبوني الذي عمل في الحقل التبشيري في السودان منذ (1857-1859م) أن اعتناق الوثنيين الأفريقيين للمسيحية لا يمكن أن يتم إلا بواسطة قسس من بني جلدتهم يعملون ويدربون لهذا الغرض . وقد أوضح رأيه في كتيب صغير عام 1864م وكان يرى وسيلة لتحول ولإعتناق المسيحية . وفي عام 1871م بدأت طلائع مشروع الأب دانيال كمبوني الإنخراط في النشاط والتعليم التبشيري . وكانوا هؤلاء ثلاثة سودانيين كان قد أرسلهم الأب دانيال كمبوني من السودان إلى معهد فيرونا بايطاليا وهم لوروفيكو , جيوفاني , وبونا فنتينا .و كذلك ثمانية عشر امرأة كن قد تلقين تدريبهن في القاهرة . واختار الأب دانيال كمبوني مديرية كردفان مركزا لتركيز نشاطه فطلب غردون وجسي وأمين باشا منه تنظيم النشاط التعليمي التبشيري في الجنوب إلا أن ذلك لم يتم بسبب وفاة الأب دانيال كمبوني في عام 1881م واندلاع الثورة المهدية في السودان⁽⁴³⁾

مما سبق يتضح لنا الدور الذي لعبه الأب دانيال كمبوني ومن قبله ما نسوري وما كان لهما أن يلعباه لولا أن حكومة السودان قد سمحت لمؤسساتهما التبشيرية المسيحية بإنشاء تعليم كنسي ترتب عليه وجود طائفة من المتعلمين ذات ميول غربية مما أحدث شرخا واسعا في المجتمع السوداني .

الخاتمة : -

هدفت سياسة الحكم التركي - المصري في مجال التعليم الديني بالسودان على تقديم الإعانات المالية لمؤسسات التعليم الديني والتعهد بإصلاح وتعمير بعض المساجد في مدن السودان المختلفة .

يعتبر عهد الوالي عباس باشا هو بداية للتعليم الحديث في السودان حيث أفتتحت مدرسة ابتدائية في الخرطوم ولكنها لم تستمر بعد نهاية عهد الوالي عباس باشا إلا أنه كان لقيام المدرسة ولمدرسيها بعض الأثر في اشاعة المعرفة في الخرطوم .

وقد أعاد الخديوي اسماعيل باشا فتح مدرسة الخرطوم التي كان أسسها الوالي عباس باشا من قبل وزاد الخديوي اسماعيل باشا عليها مدارس أخرى في بربر ودنقلا والأبيض وكسلا . وقد أدت هذه المدارس خدمات كبيرة إذ تخرج فيها الكتاب والمحاسبين وعمال التلغراف الذين دعموا الادارة في السودان بعنصر سوداني متعلم .

وسار الخديوي توفيق على نفس السياسة التي اختطها الخديوي إسماعيل باشا وأهم ما قام به أن أسس مدرسة الطب والصيدلة .

وفي عهد الوالي عباس باشا دخلت جماعة تبشيرية من الرهبان المسيحيين الخرطوم وبدأوا عملهم الإرسالي في السودان بغرض نشر التعليم والتبشير المسيحي الذي امتد إلى اليوم .

النتائج : -

- 1/ تميز طابع فترة الحكم التركي - المصري في السودان بميول حكامه إلى مساعدة المؤسسات الإسلامية ماديا مع إعفاء رجال التعليم الديني من الضرائب .
- 2/ ارتبط توسع التعليم الحديث في السودان بتوفير عناصر سودانية يمكنها أن تشغل بعض الوظائف الحكومية .

التوصيات : -

- 1/ ضرورة الاهتمام بالتعليم الديني كوسيلة للتحصين في وجه الغزو الثقافي والإستيلاب الفكري .
- 2/ اجراء المزيد من البحوث والدراسات حول تطور التعليم الحديث في فترة الحكم التركي - المصري بالسودان .
- 3/نوصي جهات الاختصاص الاهتمام بالتعليم الفني في السودان للحاجة إليه في الوقت الراهن.

المراجع:

- (1) محمد عمر بشير , تطور التعليم في السودان 1898-1956م , ترجمة هنري رياض وآخرون , دار الثقافة , بيروت , مكتبة خليفة عطية بالسجانة , الخرطوم , بدون تاريخ , ص 39
- (2) يحي محمد ابراهيم , التعليم الديني في السودان , ط¹, دار الجيل , بيروت , لبنان , 1407هـ . - 1987م , ص 266-267
- (3) السيد يوسف نصر , الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر في آسيا وافريقيا , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1983م , ص 62
- (4) ناصر السيد , تاريخ السياسة والتعليم في السودان , دار جامعة الخرطوم للنشر , الخرطوم ص 8
- (5) سعاد عبدالعزيز أحمد , قضايا التعليم الأهلي في السودان , ج¹ , الخلاوي والمدارس الأهلية (1898-1956م) , ط¹, مطبعة جامعة الخرطوم , دار جامعة الخرطوم للنشر , 1991م , ص 18.
- (6) محمد فؤاد شكري , الحكم المصري في السودان 1820 - 1885م , دار الفكر العربي القاهرة , 1947م , ص 48.
- (7) يحي محمد ابراهيم , المرجع السابق , ص 278 - 279
- (8) المرجع نفسه , ص 283 - 284 .
- (9) محمد فؤاد شكري , المرجع السابق , ص 118.
- (10) يحي محمد ابراهيم , المرجع السابق , ص 294.
- (11) المرجع نفسه , ص 294 - 295 .
- (12) المرجع نفسه , ص 298.
- (13) عبد العزيز عبد المجيد , التربية في السودان , ج2 , القاهرة , 1949م , ص 64.
- (14) المرجع نفسه , ص 67.

-
- (15) رفاعه رافع الفهطاوي , الاعمال الكاملة , ج1 , بيروت , 1973م , ص 451 - 452
- (16) بشير كوكو حميده , الخليفة الاجتماعية للمرأة السودانية , مجله الغفاه السودانية السنه الرابعه , العدد الخامس عشر , اغسطس 1281م , ص103.
- (17) يحي محمد ابراهيم , المرجع السابق , ص 303.
- (18) المعتصم احمد الحاج , الخلاوي في السودان نظمها ورسومها حتي نهاية القرن التاسع عشر , مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية , جامعة ام درمان الاهلية , 2005م , ص62.
- (19) المرجع نفسه , ص 76.
- (20) احمد بن الحاج علي , تاريخ السلطنة السنارية و الادارة المصرية , تحقيق الشاطر بصيلي , القاهرة , بدون تاريخ , ص 95.
- (21) عبد العزيز امين , المرجع السابق , ص 14.
- (22) السيد يوسف نصر , المرجع السابق , ص 62.
- (23) محمد عمر بشير , المرجع السابق , ص 42.
- (24) السيد يوسف نصر , المرجع السابق , ص 62.
- (25) المرجع نفسه , ص 64 - 65 .
- (26) المرجع نفسه , ص 65.
- (27) محمد عمر بشير , المرجع السابق , ص 42 .
- (28) السيد يوسف نصر , المرجع السابق , ص 67.
- (29) سليمان كشه , تاسيس مدينة الخرطوم و المهديه , بدون تاريخ , ص 13 .
- (30) ناصر السيد , المرجع السابق , ص 16 - 17 .

-
- (31) عبد العزيز امين , المرجع السابق , 82.
- (32) ناصر السيد / المرجع السابق , ص 18 - 19 .
- (33) المرجع نفسه , ص 19 - 20 .
- (34) المرجع نفسه , ص 20 .
- (35) محمد عمر بشير , المرجع السابق , ص 45.
- (36) عبد المجيد امين , المرجع السابق , ص 82.
- (37) محمد عمر , المرجع السابق , ص 46 .
- (38) المرجع نفسه و الصفحه.
- (39) حسن مكي محمد احمد المشروع التنصيري في السودان 1843 - 1986م , شعبه البحوث و النشر , اصدار رقم (11) , المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم , 1411هـ / 1991م , ص 20 .
- (40) حمدنا الله مصطفى حسن , التطور الاقتصادي و الاجتماعي في السودان 1841 - 1881م , ط1 , القايره , 1985م , ص 512 .
- (41) المرجع نفسه , ص 512 - 513.
- (42) عبد العزيز امين , المرجع السابق , ص 105.
- (43) محمد عمر بشير , المرجع السابق , ص 53 - 54 .